مُقَدّمة

لقد عرف مفهوم التراكيب الإسنادية الأصلية التي هي قوام التواصل في اللغة العربية، اضطراباً جعله يفتقر إلى الانسجام بين جانبه النظري وجانبه التطبيقي. حيث يتعامل النحويون مع التراكيب الإسنادية الأصلية التي يسوغ السكوت عليها، المستقلة مبنى ومعنى تعاملهم مع التراكيب الإسنادية الأصلية التي تدخل في تركيب أكبر منها بمصطلح واحد هو "الجملة". وليس الأمر كذلك في الدراسات اللسانية الحديثة.

ومن هنا كان منطلق هذا البحث هو تحقيق هدف أول يتمثل في وضع حد لذلك الاضطراب. بتعيين التراكيب التي يصح إطلاق مصطلح "الجملة "عليها، والتراكيب الإسنادية التي لا يصح أن يطلق عليها هذا المصطلح، ذلك أن ثمة فرقاً بين التركيبين الإسناديين في الدلالة والوظيفة.

ولئن كان النحويون قد قسموا تلك التراكيب الإسنادية الأصلية إلى جمل لها محل من الإعراب، وجمل لا محل لها من الإعراب، فإن هذا البحث سيحاول أن يقصر مصطلح "الجملة "على التراكيب الإسنادية الأصلية المقصودة لذاتها بالوقوف على وظائفها البيانية. أما التراكيب الإسنادية الأصلية غير المقصودة لذاتها المندرجة ضمن تراكيب أخرى فسيتعامل معها على أنها وحدات إسنادية وظيفية. وسيلتزم البحث التزاما صارماً حين وقوفه على صور هذه التراكيب الغانية بنفسها والتراكيب غير المستقلة بما ينسجم والتعريف النظري لها، من حيث ورودها اسمية أو فعلية، ومن حيث البساطة والتركيب، ومن حيث الإثبات والنفي والتأكيد، ومن حيث ورودها توليدية أو تحويلية.

ومن أهمية القرآن الكريم ومكانته تولدت رغبة الباحث في اختيار هذا النص الذي يعد رسالة لغوية غنية بما يرتبط ويحيط بموضوع الرسالة المنشود. لأنه الأجدر والأحق بمثل هذه الدراسة لاستيفائه معظم صور الجملة والوحدة الإسنادية الوظيفية، ولأن هذا النص لم يشهد دراسة علمية موضوعية عرضت لهذه التراكيب الإسنادية

بمختلف صورها على النحو الذي سلفت الإشارة إليه، فجاء الهدف الثاني من البحث، وهو الوقوف على صور تلك التراكيب الإسنادية في القرآن الكريم. ذلك أن جل المؤلفات التي درست هذه المدونة كانت تنزع إلى حشد كبير لبعض صور الجملة أو الوحدة الإسنادية الوظيفية "الجمل التي لها محل من الإعراب"، من نحو"إعراب القرآن" للنحاس ،و"معاني القرآن" للفراء، و"البحر المحيط" لأبي حيان التوحيدي وسواها بكيفية لا تهضم إلا بشق الأنفس. ثم إن تلك المؤلفات لم تكن تقوى على الإلمام بجوانب تلك التراكيب الإسنادية. وبعض الدراسات الأكاديمية التي تناولت هذه التراكيب في القرآن الكريم "اقتصرت على بعض صور الوحدة الإسنادية الوظيفية، ودرستها دراسة وصفية، ولم تكن تتناولها على النحو الذي يجمع بين الوصف والتفسير المستمدين من ثنائية الأصل والفرع التي اعتمدها نحونا العربي المصطلح عليها في اللسانيات بثنائية البنية التوليدية والبنية التحويلية، لاستكناه معاني تلك التركيب الإسنادية وتفسير دلالتها تفسيراً سليماً، لكون الوحدة الإسنادية الوظيفية لاترد إلا في جملة أو وحدة إسنادية وظيفية محولة.

وقد اقتضت طبيعة الكتاب الموسوم بـ " التحليل اللساني لصور الوحدة الإسنادية الوظيفية في القرآن الكريم " أن يكون مقسما إلى خمسة فصول. الفصل الأول الموسوم بـ " الثنائيتان الاثنتان : "الكلام " و" الجملة " و" الجملة " و" الوحدة الإسنادية " سعينا إلى جعله ينطوي على مرتكزين اثنين نقف في المرتكز الأول على ثنائية " الكلام و"الجملة " عند النحويين القدماء والدارسين المحدثين. ونعالج في المرتكز الثاني ثنائية " الجملة " و" الوحدة الإسنادية ".وهذا المرتكز يعد بمثابة مدخل نحاول أن نخرج فيه بمفهوم دقيق نتبناه لكل من التركيب الإسنادي المقصود لذاته، والتركيب غير المستقل بنفسه، مع تحديد طبيعة كل نوع، والمصطلح الذي يصلح له.

الفصل الثاني، عنوانه " ثنائية تقسيم الجملة العربية والتحولات التي تعتريها ".

ونعرض في مبحثه الأول لثنائية تقسيم النحاة للجملة العربية وتبيان معياره وسداده.

و لما كان البحث يحاول أن يقدم للقارئ الأصول السليمة التي أنشئت عليها التراكيب الإسنادية الأصلية، لم نجد بداً في مرتكزه الثاني من أن يشرح الشرح الذي

يراه سديداً لمفهوم التحويل بأنواعه الأربعة، الذي أسيء فهمه، وترتب على ذلك أن التبس الفرق الذي بين الجملة أوالوحدة الإسنادية الفعلية وقسيمتها الاسمية من نحو"البحث تيسر"أهي محولة بالاستبدال أم بالتقديم؟. كما أن مفهوم التحويل الذي يصلح لأن تدرس به كل التراكيب الإسنادية العربية المحولة لم يكن واضحاً حتى لدى دارسين أشداء، على نحو يسجل فيه أن دراسات لسانية تعاملت مع جمل محولة وعدتها توليدية.

و يخصص الفصل الثالث للتحليل اللساني لصور الوحدة الإسنادية المؤدية وظيفية المبتدأ أو اسم الناسخ. ويعالج الفصل الرابع البنية العميقة لصور الوحدة الإسنادية المؤدية وظيفية خبر المبتدأ أو الناسخ. أما الفصل الخامس فيتناول التحليل اللساني لصور الوحدة الإسنادية المؤدية وظيفتي الفاعل ونائب الفاعل.

و لما كان البحث يرنو إلى دراسة التراكيب الإسنادية الأصلية دراسة متشبعة باللسانيات التي تبرز ما في هذه المدونة من خصائص وثراء، فإنه بغية الوصول إلى ذلك اختار الباحث المنهج التحويلي التوليدي لكونه يتناول تغيير البنيات الشكلية المنبثقة عن أصل واحد، ولكونه لا يكتفي بالوصف السطحي، مع الاستعانة بالمنهج الوظيفي التحليلي التفسيري، الذي ينزع حين التحليل إلى التفسير والتعليل القريب المأخذ، اللصيق بالمعنى لصور التراكيب الإسنادية المحولة، متجنباً التعليل الذهني غير المتماشي مع التفسير المعنوي البلاغي.

انطلاقا من محاولتنا الجمع بين الكفاية في الوصف، والتفسير اللذين يؤدي الجمع بينهما إلى إجلاء الفرق الذي بين المفرد، والوحدة الإسنادية الوظيفية التي تتعاقبه باللجوء إلى البنية العميقة التي تمثل العملية العقلية في اللغة، باعتبار أنها الجانب الخفي الذي يحقق الكفاية في التفسير الدلالي. مستفيدين من إشارات النحويين وتعليلاتهم المبنية على إدراك المعنى، ضامين ذلك كله إلى ما عن لنا هنا وهناك مما اعتقدنا أن فيه فائدة للبحث. إن طريقة سير البحث في هذا التصنيف الذي لصور الوحدة الإسنادية الوظيفية في القرآن الكريم هي أننا كنا نأخذ كل صورة من صور الوحدة الإسنادية الوظيفية نموذجاً، نتكئ عليها ونحللها تحليلاً يفي بالغرض المتوخى بالتعرض إلى

دلالتها بما تسمح الدراسة، ثم نقوم برصد الآيات الواردة على الصورة المشروحة باقتفاء آثارها في القرآن الكريم كله، بتعيين سورها وأرقام آياتها، وإحالة ذلك إلى هامش الصفحات حتى يسهل على القارئ المتابعة والمقارنة.

أرجو أن أكون قد آويت إلى ركن شديد حين اخترت هذه المدونة، وأن أكون قد أنجزت هذا البحث ولم يبق في نفسي وفي نفوس الدارسين شيء من الوحدة الإسنادية الوظيفية في القرآن الكريم. والله أسأل أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، فهو الهادي إلى سواء السبيل.

د. رابح بومعزة

obeikandl.com